المعهد العراقي للحوار

Iraqi Institute For Intellectual Dialogue

ماذا تعني سوريا لشيعة المنطقة؟

دعم الشيعة في المنطقة الى نظام الأسد مسألة جيوسياسية أكثر منها دينية

رود جرشاناهان

باحث غير مقيم في معهد لوي للسياسات الدولية وباحث زائر في كلية الامن القومي في الجامعة الوطنية الاسترالية

ترجمة: المعهد العراقي للحوار

مجلة حوار الفكر

بغداد

العدد: 28

آذار/ 2014

ليست الحرب الأهليةِ السورية مصدر حشد لشيعة المنطقة كما هي للجهاديين السنة الأجانب . غالباً مايصور تورط الفرقاء الشيعة في المنطقة أي ايران وحزب الله اللبناني والمجموعات العراقية ، من منظارديني . لكن الدوافع تحرك المقاتلين الشيعة بين سورية (أو على الأقل الدول والجماعات التي التي ترسلهم إلى هناك) تكتسب أبعادا متشعبة ، وتنطلق من عوامل عدة مثل الاعتبارات الجيوسياسية والرغبة في الدفاع عن النفس وصونها _ . تنطلق من الانقسام المذهبي الواضح وإذ يتحدث حسن نصر الله ، أمين عام حزب الله عن الخطر التكفيري الذى يهدد الشيعة مثلا ، يتطرق أيضا إلى الحاجة الى الدفاع عن سورية من مخاطر الهجمات الدولية والإقليمية . وقد ربط المرشد الأعلى الإيراني ، في كلمة ألقاها في أيلول / سبتمبر الماضي ، المشاكل في سورية بالمصالح الخاصة من الولايات المتحدة والصهاينة التي تبذل جهودا حثيثة لتحقيقها ، كما ربطها ، في إشارة غير معهودة إلى حد ما ، بمصالح الرأسماليين ، مع التقليل من شان الطبيعة المذهبية للنزاع . ولاشك أن الخطاب ينطلق من المصالح الذاتية ، لكنه يظهر أيضا أن الفرقاء الشيعة يدركون ، بما أنهم أقلية ، أن عليهم التقليل من شان العامل المذهبي في أي نزاع واسع النطاق بين المسلمين . على الصعيد السياسي ، ينطلق دعم إيران وحلفائها لنظام الأسد في رغبتهم الدفاع عن هذا النظام الموالي لإيران ، وذلك لأسباب جيواستراتيجية أكثر منه بدافع التضامن الديني . ومن شأن خروج سورية من دائرة النفوذ الإيراني أن يؤدي إلى تراجع نفوذ طهران بين العالم العربي ، وإلى تعطيل قدرتها على تقديم الدعم اللوجستي لحزب الله . ليس هناك شعور حقيقي بالأخوة الدينية بين الشيعة الاثني عشرية بين إيران ولبنان والعراق من جهة ، والعلويين الذين يسيطرون على نظام الأسد من جهة أخرى . فعلى الرغم من أنّ السيد موسى الصدر وآية الله حسن الشيرازي أعلنا في السبعينيات ، كل على حدة أنّ العلويين هم مسلمون شيعة ، إلا أن الهدف كان دعم نظام الأسد عبر منحه إيديولوجيا ومنح المقربين منه شرعية دينية ، ولم يكن تعبيرا عن تضامن روحي أو لا يعني ذلك أنّ ما من أهمية دينية لسورية بالنسبة إلى الشيعة . لكن على من بعض المجموعات الأكثر نقيض مجاهر التيار الإسلامي بانتمائها إلى في صفوف المعارضة ، والتي تعتبر أن النزاع في سورية يتيح لها فرصة إنشاء دولة إسلامية كجزء من خلافة إقليمية أوسع ، يبدو أن الشيعة الذين يحاربون هذا النزاع لايقاربونه باعتباره جزءا من

مشروع شيعي أوسع فإذا كان من يدفع الشيعة إلى المشاركة في القتال في سورية ، فهو يرتدي أساسا طابعا ثانويا ودفاعيا . يرتدي مقام السيدة زينب أهمية بالغة بالنسبة إلى المتدينين ، وقد أصبح منذ الثمانينيات ، موقعا مهما للحج ومركزا للبحوث دينية . نتيجة لذلك ، يرى بعض الشيعة في الدفاع عن المقام في وجه القوات الإسلامية السنية سببا مشروعا لحمل السلاح .

يكتسبب استهداف المقامات الشيعية بعدا تاريخيا مهما جدا بالنسبة إلى الشيعة ، فهم يتذكرون جيدا كيف نهب الوهابيون كربلاء في العام ١٨٠١ ، وكيف لحقت أضرار كبيرة ، ٢٠٠٦ بضريح الامام العسكري في العام عندما حاول المتمردون السنة العراقيون التسبب بنزاع مذهبي عبر استهداف المقامات الدينية المهمة . وهكذا عندما ظهرت تقارير عن تدنيس السلفيين لمقام شيعي صغير في سوريا بدأت الاتهامات بان السلفيين يستهدفون مقام السيدة زينب تتردّد في أوساط شرائح واسعة ، إضافة إلى ذلك ، لاينظر جميع الشيعة من المنظار نفسه إلى الوضع في سورية ، أو إلى حاجتهم إلى التدخل فيها . فتركيز الطائفة الشيعية بالمنطقة إلى حد بعيد على ظروف الشيعة الخاصة ونظرتهم الى التاثير الذي تمارسه سورية عليهم . ففي لبنان مثلا ، يسود شعور على النزاع سورية يتوقف بية الأحداث ان صعود السلفيين بين سورية يمثل تهديدا وجوديا للشيعة . وتعتبر هذه النظرية لنشر السورية انه إذا لم يتم ردع السلفيين بين سورية ، فسوف يكون لبنان هدفهم المقبل المذهب السني " . لكن فنشي الشيعة لبنان الشيعة الموالون لحزب الشيعة في بين (الل المنتمين إلى حزب الله) اعتمدتا أساليب مختلفة بي التعامل مع المسألة مايعكس ظروفهما الخاصة . فالأعمال الهجومية التي يشنها حزب الله دعم للجيش السوري بين أماكن مثل القصير ينظر إليها بشكل إيجابي على نطاق واسع بين أوساط الشيعة ، لكن الجهات غير المسلحة اية الطائفة الشيعية اللبنانية تكتفي (علنا على الأقل) بإرسال الأفراد للمساعدة على حفظ الأمني من السيدة زينب ي جنوب دمشق .

وتعتبر حمايتهم للمقام عملا دفاعيا أساسا والهدف منها واضح ومفهوم . ففي غياب التعاطف الإيديولوجي الطبيعي مع العلويين با سورية ، أو التعاطف الواضح مع الأهداف السياسية الإيرانية إلى حد ما ، يواجه الشيعة اللبنانيون صعوبة بية كسبب دعم أوسع داخل طائفتهم بية التحرك يذهب أبعد من هذا الرد الدفاعي . يتوجه بعض الشيعة العراقيين للقتال دعما لنظام الأسد ، ولكن من دون الحصول على الدعم من أية الله علي السيستاني الذي لايرى سببا لملؤازرة نظام الأسد ، بيد أن بعض المجموعات الشيعية الموالية لإيران العراق ترسل مقاتلين بية المشاركة بي النزاع بين سورية وذلك للأسباب السياسية البراغماتية نفسها أحيانا التي تحرك إيران . وعلى الرغم من أن التصريحات العلنية قد تغلف بعبارات دينية يبقى الدافع دفاعيا إلى حد كبير ، إذ يهدف إلى ردع التحركات السعودية وسواها من التحركات السنية ضد النظام العلوي سورية ، و " الدعوة إلى حمل السلاح التي يطلقها الشيعة لاتشمل

فعلياً الجماعات الشيعية لكية الأخرى باكستان ، بية دول مثل البحرين ، أوبية إذ يواجه الشيعة يي كلا البلدين تحدّياتهم السياسية والأمنية الخاصة . لقد اختارت هذه الجماعات الشيعية

تقديم دعم معنوي أساسا ، ربما إدراكاً ي سورية قد تفاقم مشاكلها الداخلية . منها ان المساهمة بطريقة فاعلة والقتال على الرغم من الأبعاد الدينية أو المذهبية الكامنة سورية على أنها محور النزاع ، فإن تصوير للجهاد الشيعي

الدولي ينطوي على سوء فهم للدوافع التى تحرك الفرقاء المتورطين بي النزاع . فإيران تنطلق أساسا من حسابات سياسية – فقد استثمرت بة سورية ي إطار جهودها الإقليمية الهادفة إلى إرساء دائرة نفوذ واسعة قدر الإمكان ، ويقدم الشيعة المؤيدون لنظرة إيران العالمية الدعم العسكري لنظام الأسد انطلاقا من السبب عينه . ويخشى آخرون أو لا سيما في حالة لبنان) أن ي حال حقق السلفيون انتصاراي سورية ، قد يدفعهم ذلك إلى السعي إلى تنفيذ مشاريعهم بي أماكن أخرى . بيد أن الدافع الديني للفرقاء الشيعة الأخريين أكثر محدودية إلى حد كبير ، فاهتمامهم الديني بالوضع بية سورية مرتبط ارتباطا شديدا بمصير مقام السيدة زينب ، وبدرجة اقل بكثير . . . بالنظام السوري الحالي . فهؤلاء الشيعة لايرونبة العلويين رفاقا لهم بي العقيدة ، إلا أنهم يكنون لهم الاحترام نظرا إلى المساعدة التي يقدمونها للشيعة وإلى وقوفهم اية وجه السعودية ومصالح أخرى يعتبر الشيعة أنها تتعا وصل سع مصالحهم انطلاقا من هويتهم الدينية . ولا يخلو هذا الدعم لنظام الأسد من الشروط ، وسيبقى عرضة للتغيير بحسب المصالح القومية للبلدان المعنية مثل إيران ، إلا أنه كافي يظ الظروف الحالية للمساعدة على بقاء النظام السوري.